ابن أبي الحديد مفسِّرًا

[دراسةٌ نقدية]

يعقوب محمد يعقوب الهوساوي

جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين

١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة:

إنّ الحمدَ لله، نحمدهُ ونستعينهُ ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهْده الله فهو المهتد، ومن يضْلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة حق، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

قال الله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

ويقول رسولنا الهادي ﷺ: (من سلكَ طريقاً يبتغي فيه علماً سهّل الله به طريقاً إلى الجنة)[2].

فإنّ من أشرف ما يصرف الإنسان فيه عمره من العلوم، وأزكى ما يُعطر به وقته في كل حين، هو العلم الشرعي. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩ ﴾[3].

هذا العلم الشرعي- الذي هو شرف وعزة لكل من حمله وسعى لتحصيله - يقوم على مصدرين أساسيين، ودعامتين رئيسيتين هما: القرآن الكريم، والسُّنّة النبوية.

أما القرآن الكريم فقد تعهد الله بحفظه إلى قيام الساعة من عبث العابثين، وكيد الكائدين ،مصدقاً لقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآية(١٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب العلم، (باب الحث على طلب العلم): حديث (٣٦٤١) من طريق كثير بن قيس، عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيحه ١٨٢/٦.

(٣) سورة الزمر، الآية (٩).

(٤) سورة الحجر، الآية (٩).

ونحن على قناعة تامة بأن كل من حاول التلاعب به أو تأوله تأويلاً باطلاً خارجاً عن مقصوده الذي لأجله نزل فهو سالك مسلك زيغ وضلال وكلامه مردود عليه.

وأما السنة النبوية التي هي في المنزلة الثانية بعد القرآن، فلا غنى لأي مسلم عنها، بل لا يتم إيمانه ويكمل إلا بالإيمان بكل ما فيها مما صحت نسبته وثبت نقله عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وهو كثير ولله الحمد والمنة.

ورسول الله ﷺ لم يمت إلا بعد أن أوضح لأمته كل شؤون دينها ودنياها، فترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد :

فلقد منَّ الله تعالى عليَّ بكتابة بحث بعنوان: ((**ابن أبي الحديد مفسِّراً**))، من خلال كتابة شرح نهج البلاغة (دراسة نقدية) .

وهذا الموضوع – في نظري – له أهميةٌ كبيرة، إذ أن ابن أبي الحديد، كما كنا نرى محسوب في عداد كبار علماء الشيعة، ولكنني حاولت بجهدي المتواضع أن أثبت حقيقة غابت عنا، وهي أنه وإن كان في بدايات حياته معتقداً بالتشيع، إلا أنه مال في نهاية حياته إلى الاعتزال، فأصبح في كثير من كتاباته-وبخاصةً شرح نهج البلاغة- يردد مقالات المعتزلة ويتغنى بها في كثير من أشعاره.

أسباب اختياري للموضوع:

بعد أن وقفت على ما تفعله وتقوله الشيعة وتروج له من ادعاءات مسَّت عِرض رسولنا الكريم وصحابته، كنتُ قررت أن يكون موضوع بحثي عن الشيعة.

وبعد عرض الموضوع على أساتذتي الفضلاء رأو بفكرهم الصائب وعقلهم الناقد أن أكتب عن ابن أبي الحديد –مفسراً- من خلال كتابه: ((شرح نهج البلاغة))، فاقتنعت بصواب الفكرة وشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد، وبدأت بكتابة بحثي في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

لم أقف خلال فترة اطلاعي على دراسات سابقة في الموضوع ذاته، وكل ما وقفت عليه هو شروح مختلفة وانتقادات للكتاب الأصلي ((نهج البلاغة)) المنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – .

الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة البحث:

- وجدت من الصعوبة بمكان أن أقف على كل الآيات المفسرة عند ابن أبي الحديد، نظراً لطول الكتاب، حيث إنه يقع في واحد وعشرين جزءاً.
- عدم وقوفي – كما ذكرت آنفاً – على دراسات سابقة في هذا الموضوع، حتى يتسنى لي الاستفادة ممن سبقني.
- قلَّة مَن كتب مِن المفسِّرين في هذا الموضوع، نظراً لأن ابن أبي الحديد لم يكن له مذهب ثابت، لأنه جمع ما بين مذهب الشيعة ومذهب المعتزلة .

منهج البحث:

قمتُ بوضع منهج وخطة علمية للبحث، ثم قمت بجمع المعلومات عن هذا الكتاب ومؤلفه، معتمداً في ذلك على نفس الكتاب وغيره من كتب التراجم، واعتمدت في عرض أقواله والرد عليها على أبرز كتب التفسير بالمأثور.

ثم بدأت بفرز المعلومات وترتيبها، وأدليت برأيي في الموضوع بما يتوافق ومذهب أهل السنة والجماعة، وحرصت على توثيق أي معلومة حصلت عليها من أي كتاب أو من أي مصدر، حتى يتوافق البحث علمياً، ويخرج في أحسن صورة ممكنة .

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة : وقد ضمنتها:

- السبب الباعث لكتابة البحث.
- الدراسات السَّابقة.
- الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة البحث.
- المنهج المتبع في البحث.
- خطة البحث.

فصول البحث، وهي كالآتي:

الفصل الأول : ترجمة ابن أبي الحديد، وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: اسمه ونسبه ونشأته.
- المبحث الثاني: مذهبه وعقيدته.
- المبحث الثالث: أبرز مصنفاته.
- المبحث الرابع: وفاته .

الفصل الثاني: منهج المعتزلة في التفسير ، وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: التعريف بالمعتزلة.

- المبحث الثاني: منهج المعتزلة في تفسير القرآن.

الفصل الثالث: منهج ابن أبي الحديد في التفسير ، وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: تأويل الآيات بما يتناسب ومذهبه الاعتزالي.
- المبحث الثاني: اعتماده على النقول غير المسندة.
- المبحث الثالث: اعتماده على أقوال المعتزلة في التفسير.
- المبحث الرابع: اهتمامه بالناحية البلاغية واللغوية في التفسير.
- المبحث الخامس: تأييده لمذهب المعتزلة في القول بخلق القرآن.

الفصل الرابع : نماذج تطبيقية من التفسير عند ابن أبي الحديد(دراسة نقدية):

وفيه ثمانية مباحث:

- المبحث الأول: تفسيره لآيات الرؤية في القرآن.
- المبحث الثاني: تفسيره للآيات المتعلقة بمرتكب الكبيرة.
- المبحث الثالث: تفسيره للآيات الواردة في (الفساق)، وإنزالهم بين مترلتين
- المبحث الرابع : تفسيره لمعنى قوله ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ وقوله: ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴿٨٩﴾ ﴾.
- المبحث الخامس: تفسيره للآيات المتعلقة بخلق الجنة والنار.
- المبحث السادس: تفسيره للآيات الواردة في (اللعن).
- المبحث السابع:قوله: في ترتيب القران.
- المبحث الثامن:تفسيره لقوله :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا ﴿٢٣﴾ ﴾

الفصل الخامس:الغرض من دراسة هذه الاقوال في التفسير

ثم الخاتمة، وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفصل الأول

ترجمة ابن أبي الحديد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ونشأته.

المبحث الثاني: مذهبه، وعقيدته.

المبحث الثالث: أبرز مصنفاته.

المبحث الرابع: وفاته.

المبحث الأول : اسمه، ونسبه، ونشأته

هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد[١]، عز الدين المدائني، المعتزلي الفقيه الشاعر، أخو موفق الدين[٢]، أحد جهابذة العلماء وأثبات المؤرخين ممن لمع نجمه في العصر العباسي الثاني، أزهى العصور الإسلامية إنتاجاً وتأليفاً، وأحفاها بالشعراء، والكتّاب، والأدباء، والمؤرخين، واللغويين، وأصحاب المعاجم والموسوعات[٣].

ولد بالمدائن سنة ست وثمانين وخمسمائة، ونشأ بها وتلقى عن شيوخها، ودرس المذاهب الكلامية فيها[٤].

كان فقيهاً أصولياً، وله في ذلك مصنفات معروفة مشهورة، وكان متكلماً جدلياً نظاراً، اصطنع مذهب الاعتزال، وعلى أساسه جادل وناظر، وحاج وناقش، وفي شرحه لنهج البلاغة وكثير من كتبه آراء منثورة مما ذهب إليه، وله مع الأشعري، والغزالي، والرازي، كُتب ومواقف .

وكان أديباً ناقداً، ثاقب النظر، خبيراً بمحاسن الكلام ومساوئه، وكتابه "الفلك الدائر على المثل السائر " دليل على بعد غوره، ورسوخ قدمه في نقد الشِّعر وفنون البيان .

ثم كان أديباً متضلعاً في فنون الأدب، متقناً لعلوم اللسان، عارفاً بأخبار العرب، مطلعاً على لغاتها، جامعاً لخطبها ومنافراتها، راوياً لإشعارها وأمثالها، حافظاً لملحها وطرفها، قارئاً مستوعباً لكل ما حوته الكتب والأسفار في زمانه .

---

(١) انظر: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، للإمام بدر الدين العيني، (٣٨/١).

(٢) انظر: فوات الوفيات، أحمد شاكر، الكتبي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر ، بيروت، ط١، (٢٦٢/٢).

(٣) انظر: مقدمة شرح نهج البلاغة، للمحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٦هـ، (١٢/١).

(٤) المصدر السابق (١٣/١).

وكان وراء هذا شاعراً عذب المورد، مشرق المعنى، كما كان كاتباً بديع الإنشاء، حسن الترسُّل، ناصِع البيان[1] .

المبحث الثاني: مذهبه وعقيدته

كان فقيهاً أصولياً، وله في ذلك مصنفات معروفة ومشهورة[2].

تأدب على الشيخ أبي البقاء العكبري، ثم على أبي الخير، وصِدق ابن شبيب الواسطي، واشتغل بفقه الإمام الشافعي وقرأ علم الأصول[3].

وحين انقضت أيام صباه وطوى رداء شبابه خف إلى بغداد حاضرة الخلافة، وكعبة القصاد، وعش العلماء، واختلط بالعلماء من أصحاب المذاهب، ثم جنح إلى الاعتزال، وأصبح كما يقول صاحب ((نسمة السَّحَر)) معتزلياً جاحظياً في أكثر شرحه للنهج بعد أن كان شيعياً غالياً[4].

إذاً الذي يظهر- والله تعالى أعلم- أن ابن أبي الحديد وإن كان قد سلك مذهب التشيع في حياته، إلا أنه مال إلى مذهب الاعتزال في آخرها، ولعل فيما سأورده في هذا البحث ما يثبت ذلك، ومن كان له اطلاع على كثير من أشعاره التي قالها في مناسبات عدّة لا يسعه إلا الحكم بذلك.

(١) انظر: مقدمة شرح نهج البلاغة، لمحمد أبو الفضل إبراهيم، (١٣/١).

(٢) انظر: مقدمة شرح نهج البلاغة، لمحمد أبو الفضل إبراهيم، (١٢/١).

(٣) انظر: وفيات الأعيان ، لابن خلكان، (٣٤٢/٧).

(٤) انظر: مقدمة شرح نهج البلاغة، لمحمد أبو الفضل إبراهيم، (١٤/١).

المبحث الثالث: أبرز مصنفاته

كان ابن أبي الحديد – كما ذكرنا – شاعراً وأديباً وكاتباً، وقد خلّف الكثير من المصنفات التي تدل على علمه الوافر وأدبه الجم، وهي مما جعل أكثر المؤرخين يحكم عليه بالاعتزال، نظراً لما تضمنته من أقوال للمعتزلة وسير على خطاهم .

ومن أبرز مصنفاته:

١- له ديوان في الشعر مشهور.

٢- شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة، وهو من أضخم الشّروح وأشملها، أو في الأقلّ هو أضخم الشّروح الّتي صُنِّفت منذ البداية إلى الآن، وبلغ من الشُّهرة والصيت مبلغاً أنّه إذا أُطلق عنوان «شرح نهج البلاغة» في معظم المصادر الإسلاميّة، فإنّما يراد به شرح ابن أبي الحديد.

٣- "الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشريعة"،وهو شرح لذريعة الشّريف المرتضى.

٤- "انتقاء المستصفى للغزالي"،وهو نقد لكتاب "المستصفى في الأُصول" للغزاليّ.

٥- "شرح المحصَّل للإمام فخر الدين الرازي"، وهو شرح لكتاب المحصَّل الكلاميّ للفخر الرّازيّ.

٦- نقض المحصول في علم الأُصول، وهو نقد وردّ على كتاب «المحصول في علم الأُصول» للفخر الرّازيّ.

٧- القصائد السّبع العلَويّات أو السّبع العلويّات، وهي قصائد في مدح النّبي صلّى الله عليه وآله، وعليّ رضي الله عنه، وفتح خيبر، وفتح مكّة، واستشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه، نظمها سنة ٦١١هـ.

٨- "العبقري الحسان"، وهو مجموعة من مختارات الكلام، والتّاريخ، والشّعر، ونظائرها.

٩- شرح مشكلات الغُرَر لأبي الحسين البصريّ، وقد أوضح فيه ما أشكل في الكتاب الكلاميّ المذكور.

١٠- "الفلك الدائر على الملك السائر"، وهو نقد على كتاب "الفلك السّائر في أدب الكاتب والشّاعر" لابن الأثير الجزريّ. [1].

(١) انظر: فوات الوفيات، لمحمد شاكر الكتبي، (٢/٢٢٦)، مقدمة شرح نهج البلاغة لمحمد أبو الفضل إبراهيم، (١/١٧).

المبحث الرابع: وفاته

قد اضطرب المؤرخون في تاريخ وفاته، فنقل صاحب كتاب " نسمة السحر " عن الديار بكرى أنه توفى قبل دخول التتار بغداد بنحو سبعة عشر يوماً، وكان دخولهم إليها في العشرين من المحرم سنة ٦٥٦هـ، على ما ذكره المؤرخون، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: "إنه توفى في الخامس من جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وستمائة "، إلا أن أغلب المؤرخين اتفقوا على أن وفاته كانت سنة خمس وخمسون وستمائة، ذهب إلى ذلك ابن شاكر في "فوات الوفيات وعيون التواريخ"، وكذلك ابن كثير في " التاريخ "، والعيني في " عقد الجمان"، وابن حبيب الحلبي في كتابه" درّة الأسلاك"[1].

(١) انظر: مقدمة شرح نهج البلاغة ، لمحمد أبو الفضل إبراهيم، (١/١٦).

الفصل الثاني

منهج المعتزلة في التفسير

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمعتزلة.

المبحث الثاني: منهج المعتزلة في تفسير القرآن.

المبحث الأول : التعريف بالمعتزلة

"(المعتزلة) :اسم يُطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري، ما بين سنة (١٠٥-١١٠هـ)، بزعامة رجل يُسمى "واصل بن عطاء الغزال"، ونشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر، ثم أصبحت فرقة كبيرة تفرعت عن الجهمية في معظم الآراء، ثم انتشرت في أكثر بلدان المسلمين انتشاراً واسعاً.

ويرى بعض العلماء أن أصل بدء الاعتزال كان في زمن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- حينما اعتزل جماعة من الصحابة كانوا معه السياسة، وتركوا الخوض في تلك الخلافات التي نجمت بين الإمام علي ومعاوية -رضي الله عنهما-.

ويرى أكثر العلماء أن أصل بدء الاعتزال هو ما وقع بين الحسن البصري وواصل بن عطاء من خلاف في حكم أهل الذنوب"[1].

المبحث الثاني: منهج المعتزلة في تفسيرهم للقرآن

مما هو معلوم لدى كل طالب علم شرعي أن المعتزلة أقاموا تفسيرهم للقرآن على أصولهم الخمس التي اعتقدوها، وحاولوا تأويل الآيات القرآنية بناءً عليها ، فما وافق تلك الأصول أخذوه، وما عارضه حاولوا تأويله في سبيل الانتصار للمذهب.

ولعلنا في هذا المبحث نحاول إجمال هذه المبادئ الخمسة باختصار.

فنقول، وبالله التوفيق :

الأصل الأول: التوحيد:

وفي هذا الأصل حاول المعتزلة تأويل صفات الله، وما يجب وما لا يجب لله منها، "وقد حرص المعتزلة على إنكار صفات الله بحجة أن إثباتها مما يستلزم تعدد

(١) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، لغالب بن علي عواجي، مكتبة لينه للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، (٢/٨١٩-٨٢٠).

القدماء، وهو شرك على حد زعمهم، لأن إثبات الصفات يوحي بجعل كل صفة إلهاً، والمخرج من ذلك هو نفي الصفات وإرجاعها إلى ذات الباري، فيقال عالم بذاته قادر بذاته..الخ". وبذلك يتحقق التوحيد في نظرهم[1].

الأصل الثاني: العدل:

ويقصدون به " ما يتعلق بأفعال الله تعالى التي يصفونها كلها بالحسن ونفي القبح عنها، وبما فيه نفي أفعال العباد القبيحة عن الله لا رضاءاً ولا خلقاً لأن ذلك يوجب نسبة الفعل القبيح إلى الله وهو منـــزه عن ذلك"[2].

الأصل الثالث: الوعد والوعيد:

ويقصدون أن الله قد وعد عباده المطيعين بالثواب، وتوعد العاصين بالعقاب، فيجب على الله إنفاذ وعده ووعيده، حيث لا يجوز عليه الكذب أو الخلف في الوعد.

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين:

يعنون بذلك أن مرتكب الكبيرة من أهل الإسلام في منزلة بين الكفر والإيمان، فلا يقال هو كافر ولا مؤمن بل فاسق وهي منزلة جعلوها من عند أنفسهم، وحالوا تطويع نصوص القرءان، بما يوافق هذا القول.[3]

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

والخلاف في هذه المسألة بينهم وبين أهل السنة يرجع إلى أمور هي:

١- طريقة تغييرهم للمنكر.

٢- المعتزلة أوجبوا الخروج على السلطان الجائر خلاف أهل السنة.

٣- جوز المعتزلة حمل السلاح في وجوه المخالفين لهم سواءً كانوا من

(١) انظر: فرق معاصرة لغالب عواجي، (٢/٨٣٢).

(٢) المصدر السابق، (٢/٨٣٤).

(٣) المصدر السابق، (٢/٨٣٤).

الكفار أو من أصحاب المعاصي[1].

هذه مجمل الأصول عند المعتزلة والتي جعلوها أساساً اعتمدوا عليها في التفسير ومن أراد الاستزاده فعليه بمراجعة كتب العقيدة.

(١) انظر: فرق معاصرة لغالب عواجي، (٢/٨٥٠)، بتصرف.

الفصل الثالث

منهج ابن أبي الحديد في تفسيره للآيات من خلال كتابه (شرح نهج البلاغة)

وفيه تمهيد و سبعة مباحث:

المبحث الأول: تأويل الآيات بما يتناسب مع مذهبه الاعتزالي.

المبحث الثاني: اعتماده على النقول غير المسندة.

المبحث الثالث: اعتماده على أقوال المعتزلة في التفسير.

المبحث الرابع: اهتمامه بالناحية البلاغية واللغوية في التفسير

المبحث الخامس: تأييده لمذهب المعتزلة في القول بالمنزلة بين المنزلتين.

المبحث السادس: تأييده لمذهب المعتزلة في أصحاب الكبائر.

المبحث السابع: تبني قول المعتزلة في القول بخلق القرآن.

منهج ابن أبي الحديد في تفسيره للآيات من خلال كتابه شرح نهج البلاغة

تمهيد

إن المتتبع لمنهج ابن أبي الحديد في تفسيره لآيات القرآن من خلال كتابه: ((شرح نهج البلاغة))، يتضح له جلياً ظهور المذهب الاعتزالي عليه، بما يتوافق والأصول الخمسة التي اتخذها المعتزلة أساساً في تفسيرهم للقرآن وهي: [التوحيد، العدل، المنـــزلة بين المنـــزلتين ، إنفاذ الوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] .

وفيما يلي إشارةً إلى أهم الأسس التي اعتمدها ابن أبي الحديد في تفسيره من خلال كتابه.

المبحث الأول : تأويله للآيات القرآنية بما يتناسب مع مذهب المعتزلة

فهو عند تفسيره مثلاً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[2]، نجده يتبع منهج شيوخه من المعتزلة في تأويل الآيات سعياً وراء إثبات الآراء التي يسعون إلى إثباتها، فقال نقلاً عنهم :

" لما كان أولاً بمعنى أنه لا جسم في الوجود معه في الأزل وجب أن يكون آخراً بمعنى أنه لا يبقى في الوجود جسم من الأجسام معه، فيما لا يزال وإذا كان لابد من عدم سائر الأجسام لم يكن في خلق الجنة والنار قبل أوقات الجزاء فائدة"[3].

ولعل هذا القول فيه إقرار بمذهب شيوخه في إنكارهم لخلق الجنة والنار، والقول بعدم وجودهما الآن، وإنكارهم لرؤية الله تعالى ، وللصراط المستقيم ،

(١) سورة القصص، الآية (٨٨).

(٢) سورة الحديد، الآية (٣).

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد، (١/١٢٠).

ولعذاب القبر، وهو تأويل للآية بما يوافق مذهب المعتزلة الذين كانوا كثيراً ما يخضعون معاني النصوص القرآنية لأرائهم ويبطلون جميع التفاسير الأخرى لها إذا لم توافق ما ذهبوا إليه حتى ولو كانت أحاديث صحيحة عن الرسولﷺ.

المبحث الثاني: النقول غير المسندة

من المُلاحظ كثيراً في هذا الكتاب أن ابن أبي الحديد كثيراً ما يلجأ –عند تفسيره لبعض الآيات– إلى الاستدلال على كلامه بالنقول عن النبيﷺ، وهذه النقول في الغالب غير مسندة وإنما كان يكتفي بقوله :" قال رسول الله"، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتابه ، ولكني أكتفي ببعضها خشية الإطالة، ومنها :

- لما أورد قوله تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾[1]، ذكر أن الرسولﷺ، سُئل عنها فقال: " علي وحمزة وعبيد وعتبة وشيبة والوليد"[2]. بدون ذكر إسناد الحديث.
- أن النبيﷺ فسّرَ قوله : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾[3]، فقال: ((تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته))[4]. بدون ذكر الإسناد متصلاً إلى رسول اللهﷺ.

- في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾[5]، يقول قال ابن عباس: ((يعني علي ابن أبي طالب))[6].
- أيضاً أفرد فصلاً كاملاً في نهاية الجزء العاشر في ذكر الآثار الواردة في الصلاة

(١) سورة الحج، الآية (١٩).

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، (١٣٦/٦).

(٣) سورة المؤمنون، الآية (١٠٤).

(٤) انظر: شرح نهج البلاغة،لابن أبي الحديد، (١٠/٣٠-٣١).

(٥) سورة الأحزاب، الآية (٢٥).

(٦) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، (٢١١/١٣).

وفضلها بدون ذكر إسناد أيضاً[1].

المبحث الثالث: اعتماده على أقوال المعتزلة في كثير من المواضع التي يتعرض فيها للتفسير

والمقصود بذلك كثرة إحالته عند تفسيره للآيات إلى أقوال المعتزلة في تفاسيرهم، فيذكر ما قال شيوخه (على حدِّ تعبيره) في المسألة المعينة مقرراً ومؤيداً لهم في كثير من المسائل، كما سيظهر معنا في الفصل القادم – إن شاء الله – عندما نعرض لصور من تفسيره لبعض الآيات، وكيف أنه يبدأ بقوله: ((اختلف شيوخنا أو أصحابنا –رحمهم الله– في هذه المسألة))، وفي مواضع أخرى من كتابه نجده يقول: (قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ – رحمه الله – ثم يورد كلامه في المسألة))، والجاحظ كما هومعروف كان من كبار علماء المعتزلة في عصره.

(١) انظر: المصدر السابق ، (١٦١/١٠).

المبحث الرابع: اهتمامه بالناحية اللغوية والبلاغية في التفسير

من المُلاحظ أنه كثيراً ما يصرف معاني القرآن عن ظاهرها إلى معنى آخر يوافق مذهبه الاعتزالي، وإن كان لا يصرح بالقول فيها، ولكنه يشير إلى أنها من كلام شيوخه. - المعتزلة كما بيّنا-، ومنها قوله: " كما تأول شيوخنا" قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1]،فقالوا: " إلى جنة ربها"[2]،أي بتقدير محذوف في الآية ، وهو "جنة".ويدخل في ذلك أيضاً ما قرره في كتابه من صحة ما ذهب إليه المعتزلة وسائر المحققين من المتكلمين من نفي الأعضاء والجوارح عنه تعالى، وأنهم قد تأولوا ما ورد في القرآن من ذلك، كما في قوله :﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[3]، وقوله: ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾[4]،وحملوه على وجوه صحيحة جائزة في اللغة العربية[5].

المبحث الخامس : تأييده لمذهب المعتزلة في القول بالمنزلة بين المنزلتين

حيث قال في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ﴾[6].

قال: " وهذه قسمة صحيحة لأن المكلفين إما كافر، أو مؤمن، أو ذو منـــزلة بين المنـــزلتين. هكذا قسَّم أصحابنا الآية على مذهبهم في الوعيد"[7].

وقد عرض في موضع من كتابه للآيات من القرآن التي احتج بها الخوارج على تكفير أهل الكبائر ، ورد عليها بما يثبت وجود منـــزلة الفسق كمنـــزلة بين الإيمان

(١) سورة القيامة، الآية (٢٢-٢٣).

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، (٣١١/٦).

(٣) سورة ص، الآية (٧٥).

(٤) سورة الزمر، الآية (٥٦).

(٥) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، (١٧٨/٣).

(٦) سورة فاطر، الآية (٣٢).

(٧) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، (١٤٤/٧).

والكفر. وسوف أشير إليها في موضعها من هذا البحث إن شاء الله تعالى .

المبحث السادس : تأييده لمذهب المعتزلة في أصحاب الكبائر

فابن أبي الحديد في تفسيره للآيات يظهر لنا جلياً قوله بكفر أهل الكبائر من أهل الإسلام، ويتأول معنى المغفرة في الآيات إلى معاني تخدم مذهبه الاعتزالي.

وسوف يُشار إلى ذلك في موضعه – إن شاء الله –

المبحث السابع : تبني قول المعتزلة في القول بخلق القرآن

القول بخلق القرآن من أهم عقائد المعتزلة التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة، ولعل ما دعاهم إلى ذلك هو السعي لنفي صفة الكلام عن الله عزَّ وجلّ ، فوقعوا فيما هو أشد، وهو القول بأن القرآن مخلوق وتبعهم في ذلك ابن أبي الحديد ، فقال بذلك عند تفسيره لبعض الآيات المتعلقة بهذا الموضوع.

الفصل الرابع
نماذج من تفسير ابن أبي الحديد للآيات في كتابه (دراسة نقدية)

وفيه ثمان مباحث:

المبحث الأول: تفسيره لآيات الرؤية في القرآن .

المبحث الثاني: تفسيره للآيات المتعلقة بمرتكب الكبيرة.

المبحث الثالث: تفسيره للآيات الواردة في (الفساق)، وإنزالهم بين منزلتين

المبحث الرابع: تفسيره لمعنى قوله ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾، وقوله: ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى ﴾ .

المبحث الخامس: تفسيره للآيات المتعلقة بخلق الجنة والنار.

المبحث السادس: تفسيره للآيات الواردة في (اللعن).

المبحث السابع : قوله في ترتيب آيات القرآن .

المبحث الثامن : تفسيره لقوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا ﴾

المبحث الأول : تفسيره للآيات المتعلقة بالرؤية

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]

فقد استدل ابن أبي الحديد بهاتين الآيتين أثناء رده على من زعم رؤية الله في الآخرة، حيث قال: ((إن القائلين برؤيته في الآخرة يقولون: إنا نعرف حينئذ كنهه))[3]، إلى أن قال: ((إنه لا وقت أبداً على الإطلاق تعرف فيه حقيقته وكنهه لا الآن ولا بعد الآن، وهو الحق لأنا لو رأيناه في الآخرة وعرفنا كنهه لتشخص تشخصاً يمنع من حمله على كثيرين))[4].

ثم شرع في الاستدلال على رأيه بالآية الأولى، وادَّعى بأنها تفسر بنفي الإحاطة، فقال: ((واعلم أن نفي الإحاطة مذكور في الكتاب العزيز في مواضع منها: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[5]،وقوله: ﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[6].

ثم نراه في موضع آخر من كتابه يجعل قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[7]، من قبيل الآيات المتشابهة.

فيقول أثناء تقسيمه للكتاب العزيز: ((ومنها محكمة ومتشابهة، فالمحكم كقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[8].

---

(١) سورة طه، الآية (١١٠).

(٢) سورة القيامة ، الآية (٢٢-٢٣).

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد، (٨٣/١).

(٤) انظر: المصدر نفسه، (٨٣/١).

(٥) سورة طه، الآية (١١٠).

(٦) سورة الملك، الآية (٤)، وانظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، (٨٤/١).

(٧) سورة القيامة ، الآية (٢٢-٢٣).

(٨) سورة الإخلاص، الآية (١).

والمتشابهة كقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾"[1].

ولو عدنا إلى تفسيره هذه الآية عند جمهور أهل العلم من المفسرين من أهل السنة والجماعة لوجدناها مما يستدل به صراحة على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

وهذه طائفة من أقوال أهل العلم من مفسرين وغيرهم في إثبات رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة ، مما يرد دعوى ابن أبي الحديد وأمثاله في تأويل آيات الرؤية.

يقول الإمام الشوكاني في تفسيره :"قوله تعالى :﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، هذا من النظر أي إلى خالقها ومالك أمرها ناظرة أي تنظر إليه، هكذا قال جمهور أهل العلم والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر[2]".

وقال ابن كثير في تفسيره للآية: ((﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي تراه عياناً، كما رواه البخاري –رحمه الله – في صحيحه ((إنكم سترون ربكم عياناً))[3]، فقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق صدق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها"[4].

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره –بعد أن أورد الاختلاف الحاصل في رؤية الله في الآخرة–:" وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول

(١) انظر: شرح نهج البلاغة، (١٣٠/١).

(٢) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني، توزيع مكتبة ابن تيمية، (٣٣٨/٥).

(٣)– أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}، (٧٤٣٥)

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، (٢٧٩/٨).

الله ﷺ[1].

وبهذا عُلم أن رؤية الله تبارك وتعالى ثابتة بالقرآن وصحيح السنة، وأنه لا يخالف في الرؤية إلا " الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة"[2].

ونحن لو عدنا إلى نفس كلمة (النظر) واستعمالاتها في اللغة لأدركنا بطلان الاعتقاد الذي ذهب إليه ابن أبي الحديد وأمثاله، "فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فإن عُدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار، كقوله: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[3].وإن عدي بـ (في) فمعناه التفكر والاعتبار كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[4]. وإن عدي بـ (إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار، كقوله :﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾[5]، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر"[6].

فتصبح هذه الآية والله أعلم، دليلاً على من أنكر الرؤية، الذين لا دليل لهم.

(١) انظر: تفسير القرآن للطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار الرسالة للطبع، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، (٧٣/٢٤).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز الدمشقي، تحقيق : الدكتور عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط ، دار الرسالة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية عشر، ١٤١٨هـ، (٢٠٧/١-٢٠٨).

(٣) سورة الحديد ، الآية (١٣).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٨٥).

(٥) سورة الأنعام، الآية (٩٩).

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الدمشقي،(٢٠٩/١).

المبحث الثاني: تفسيره للآيات المتعلقة بأهل الكبائر

مما ينبغي الإشارة إليه قبل الشروع في تفسير ابن أبي الحديد لهذه الآية والتي تليها أن نذكر بما قلناه سابقاً من ثبوت مذهبه الاعتزالي، ولذلك فإننا سنلاحظ – وبخاصة في هذه الآية – كيف حاول أن يؤول النص الصريح بما يوافق مذهبه دون أن يكون له أي دليل ثابت لا من كتاب الله، ولا من سنة رسوله ﷺ، بل هو إقرار منه لأصل من أصول المعتزلة المعتمدة وهي القول بالخلود في النار لمرتكب الكبيرة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1]

قال ابن أبي الحديد:" الأصوب في هذا الموضوع ألا يُجعل قوله﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ معنياً به التائبون بل نقول: المراد أن الله لا يستر في موقف القيامة من مات مشركاً بل يفضحه على رؤوس الأشهاد، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]، وأما من مات على كبيرة من أهل الإسلام فإن الله يستره في الموقف ولا يفضحه بين الخلائق وإن كان من أهل النار ويكون معنى المغفرة في هذه الآية الستر والتغطية لحال العاصي في موقف الحشر وقد يكون من أهل الكبائر ممن يقر بالإسلام لعظيم كبائره جداً فيفضحه الله تعالى في الموقف، كما يفضح المشرك، فهذا معنى قوله: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾"[3].

المُلاحظ أن ابن أبي الحديد في تفسيره لهذه الآيات لم يألُ جهداً في صرفها عن المعنى المراد، فقد صرَّح الله تعالى في هذه الآية بالمغفرة من الذنوب التي هي دون الشرك بدون تخصيص، وأهل السُّنة كلهم متفقون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر

(١) سورة النساء ، الآية (٤٨).

(٢) سورة هود، الآية (١٨).

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، (٢٩/١٠).

كفراً ينقل عن الملة فضلاً عن خلوده في النار.

وأما ابن أبي الحديد فقد رأى أن المراد بالمغفرة في الآية هو الستر والتغطية في الموقف لا مغفرة الذنوب كما صرحت الآية بذلك .

فكأنه قد قطع عن الله المشيئة في كونه يغفر الذنوب لمن يشاء، ثم زاد ذلك الخطأ عندما حكم على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار مع الكفار، وهذا لا يستقيم مع العقل، إذ كيف يقارن من ارتكب كبيرة مع كونه مسلماً مع المشرك في خلودهما في النار.

وهذه طائفة من أقوال المفسرين في معنى هذه الآية ليتبين من خلالها مدى الخطأ والجهل الذي يقع فيه أرباب التأويل بعيداً عن هدايات القرآن والسنة النبوية.

يقول الإمام ابن جرير في تفسيره لهذه الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1]، ما نصه: ((وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرة الشرك بالله))[2].

وقال الإمام الشوكاني: ((هذا الحكم يشمل جميع طوائف الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ولا يختص بكفار أهل الحرب، لأن اليهود قالوا عزيز ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقالوا ثالث ثلاثة ولا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير أهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته ، وأما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . وظاهره أن المغفرة منه سبحانه تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلاً منه ورحمة وإن لم يقع من ذلك المذنب توبة وقيد ذلك المعتزلة بالتوبة ، وقد تقدم قوله: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ

(١) سورة النساء، الآية (٤٨).

(٢) انظر: جامع البيان ، للطبري، (٤٥٠/٨).

عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾[1]، وهي تدل على أن الله سبحانه يغفر سيئات من اجتنب الكبائر فيكون مجتنب الكبائر ممن قد شاء الله غفران سيئاته"[2].

وقال ابن كثير في تفسيره :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾أي من الذنوب،﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾، أي من عباده. ثم أورد ثلاثة عشر حديثاً تدل على أن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله إلى أن قال: " لأنه تعالى قد حكم ههنا بأنه لا يغفر الشرك وحكم بأنه يغفر ما عداه لمن يشاء، أي وإن لم يتب صاحبه فهذه أرجى من تلك الأوجه. والله أعلم"[3].

ومن ذلك يتبين لنا أن كل الذنوب سوى الشرك داخلة في مشيئة الله وحكمه إن شاء غفرسبحانه لمرتكبها أو عاقبه ، "فالله سبحانه فصل في هذه الآية بين الشرك وغيره، لأن الشرك أكبر الكبائر، كما قال عليه السلام وأخبر الله تعالى أن الشرك غير مغفور وعلق غفران ما دونه على المشيئة والجائز يعلق بالمشيئة دون الممتنع، ولو كان الكل سواء لما كان للتفضيل معنى، ولأنه علق هذا الغفران بالمشيئة وغفران الكبائر والصغائر بعد التوبة مقطوع به غير معلق بالمشيئة"[4].

المبحث الثالث: تفسيره لقول الله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[5]

ابن أبي الحديد في تفسيره لهذه الآية قسَّم الناس إلى ثلاثة أقسام ، وهو قول بالأصل الآخر المعتمد عند المعتزلة وهو أصل المنزلة بين المنزلتين.

"وهم يريدون بالمنزلة بين المنزلتين المؤمن صاحب المعاصي، فهو عندهم ليس

(١) سورة النساء، الآية (٣١).

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني، (٢/١٥٨).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير، (٢/٣٣١).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، (٢/٥٢٨).

(٥) سورة فاطر، الآية (٣٢).

بمؤمن ولا كافر بل يُفرد له حكم ثالث وهو تسميته فاسقاً في الدنيا والحكم بخلوده في النار في الآخرة فاختلف اسمه وحكمه في الدنيا فاستحق أن يكون في منزلة بين المنزلتين"[1].

وهو في كتابه أنكر كثيراً عند تعرضه للكلام عن بعض الآيات، القسمة الثناعية من حيث إن الناس إما مؤمن أو كافر وتأول هذه الآيات بما يوافق مذهبه، خذ مثالاً على ذلك :

* قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[2].

قال: ((هذه القسمة ليست متقابلة فيجوز أن يكون المكلفون ثلاثة أقسام بيض الوجوه وسود الوجوه ، وصنف آخر ثالث بين اللونين وهم الفساق))[3].

* قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾[4].

قال : " يجوز أن يكون الفسَّاق قسماً ثالثاً لا غبرة على وجوههم ولا هي مسفرة ضاحكة بل ما كانت عليه في دار الدنيا"[5].

* قوله تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[6].

قال : " لا يمنع ذلك من قسم ثالث وهم الذين لا تخف موازينهم ولا تثقل

(١) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، دكتور/ غالب عواجي، مكتبة لنية للطبع والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ، (٢/٨٤٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٠٦).

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد، (٨/٩٣).

(٤) سورة عبس، الآيات (٣٨-٤٢).

(٥) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، (٨/٩٣-٩٤).

(٦) سورة المؤمنون، الآيات (١٠٢-١٠٥).

وهم الفساق"[1].

انظر كيف تأول هذه الآيات وأوجب دخول قسم ثالث فيها ولو لم تذكره الآية، وهم الفساق. فكيف يقبل العقل أن يكون الله تبارك وتعالى أهمل ذكر هذا القسم الثالث في القرآن كاملاً واكتفى فقط بثناءية القسمة؟

وأما ما استدل به على كون الفاسق في منزلة بين المؤمن والكافر وما ساقه دليلاً له على ذلك ، وهو قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٣٢﴾ ﴾[2].

فإليك أقوال المفسرين فيها :

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية :" يقول تعالى ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال :﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾، وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات،﴿ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ ﴾ ، وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله :﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾، قال: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزله فظالمهم يُغفر له ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب[3]. إلى أن قال " والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير، كما هو ظاهر الآية، وكما

(١) انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، (٩٥/٨).

(٢) سورة فاطر، الآية (٣٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير، (٥٤٦/٦).

جاءت به الأحاديث عن الرسول ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً"[1].

وقال ابن جرير في تفسيره: " بين أن المصطفين من عباده هم مؤمنوا أمته، وأما الظالم لنفسه فإنه لئن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك عندي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر وذلك أن الله تعالى أتبع هذه الآية قوله : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾، فعم بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة[2].

وأما الإمام الشوكاني في تفسيره فقال بعد أن ذكر اختلاف علماء الأمة في الآية: " وقيل الظالم لنفسه هو الذي عمل الصغائر وقد روي هذا القول عن عمر وعثمان وابن مسعود وأبي الدرداء وعائشة، وهذا هو الراجح لأن عمل الصغائر لا ينافي الاصطفاء ولا يمنع من دخول صاحبه مع الذين يدخلون الجنة، يحلون فيها من أساور من ذهب ... ووجه كونه ظالماً لنفسه أنه نقصها من الثواب بما فعل من الصغائر المغفورة له فإنه لو عمل تلك الصغائر طاعات لكان لنفسه فيها من الثواب حظاً عظيماً"[3].

ومن مجموع هذه الأقوال يظهر جلياً أن الآية وإن قسمت الناس هذه القسمة الثلاثية (مقتصد / ظالم لنفسه / سابق بالخيرات) على ما بينا من أقوال المفسرين فيها إلا أننا لا نُقر بقول ابن أبي الحديد وهو وجود المسمى الثالث الذي هو الفاسق المدلول عليه بلفظ (مقتصد) في الآية ، فالفاسق عندهم خالد في النار فكيف إذاً قال الله تعالى في ختام الآية ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾؟!!

(١) انظر: المصدر السابق ، (٥٤٧/٦).

(٢) انظر: جامع البيان ، للطبري، (٤٦٩/٢٠).

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني، (٤٩٥/٤).

المبحث الرابع: تفسيره قوله تعالى :

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾[1]،

وقوله : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[2] واستدلاله بهما على عدم خلق الجنة والنار.

استدل ابن أبي الحديد بهاتين الآيتين على أن الجنة والنار لم تخلقا بعد، وذكر رأي شيوخه في هذه المسألة وقولهم في تفسير هاتين الآيتين ، فقال: " لما كان أولاً : بمعنى أنه لا جسم في الوجود معه في الأزل، وجب أن يكون آخراً بمعنى أنه لا يبقى في الوجود جسم من الأجسام معه فيما لا يزال، وإذا كان لابد من عدم سائر الأجسام لم يكن في خلق الجنة والنار قبل أوقات الجزاء فائدة، لأنه لابد أن يفنيهما مع الأجسام التي تفنى يوم القيامة، فلا يبقى مع خلقهما من قبل معنى"[3]، ثم ذكر بعد ذلك أن غير شيوخه قالوا أنهما مخلوقتان الآن.

وهو بقوله هذا يقر أيضاً بأصل من أصول الاعتقاد عند المعتزلة، وهو القول بأن الجنة والنار لم تخلقا بعد غافلاً عن جملة أخرى من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تثبت خلق الجنة والنار وأنهما موجودتان الآن.

والآن نعود إلى أقوال المفسرين في الآيات :

يقول ابن جرير الطبري في تفسيره : " اختُلف في معنى قوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، فقال: بعضهم معناه كل شيء إلا هو . وقال آخرون : إلا ما أريد به وجهه"[4].

وقال ابن كثير في تفسيره: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾، "إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت ، كما قال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[5]، فعبر بالوجه عن

(١) سورة القصص، الآية (٨٨).

(٢) سورة الحديد، الآية (٣).

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، (١٢٠/١).

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري، (٦٤٣/١٩).

(٥) سورة الرحمن ، الآيات (٢٦-٢٧).

الذات، وهكذا قوله هنا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾، أي إياه.

وقال مجاهد والثوري في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾ "أي إلا ما أريد به وجهه"، إلى أن قال:" وهذا القول لا ينافي القول الأول، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة، إلا ما أريُد به وجه الله عز وجل من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة. والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وهالكة وزائلة إلا ذاته تعالى فإنه الأول والآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء"[1].

قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾، "وإذا كان كل شيء هالكاً مضمحلاً فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها وفساد نهايتها"[2]. وفسرها الإمام القرطبي في تفسيره فقال:" قال محمد بن يزيد: حدثني الثوري قال: سألت أبا عبيدة عن قوله:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾،فقال: " الاجاهه" كما تقول لفلان وجه في الناس،إلا جَاهَه"[3].

هذه خلاصة لما قاله أئمة المفسرين في هذه الآية، وفي الحقيقة لم أجد أحداً منهم استدل بها على أن الجنة والنار لم تخلقا بعد، وإنما هذا أسلوب مَن يُحاول تطويع آيات القرآن لمعتقده.

وأما كون الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن ، فقد اتفق أهل السنة والجماعة على ذلك، " ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت بل ينشئها الله يوم القيامة وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة وقالوا -كما قال ابن أبي الحديد – خلق الجنة قبل الجزاء

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٦٢/٦).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للإمام السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، عام١٤٢٠هـ، (٦٢٥/١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد القرطبي، (٣٢٢/١٣).

عبث لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى ، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم"[1].

وأما استدلال ابن أبي الحديد وأمثاله على ما ذهبوا إليه بقوله﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾، فلا حجة ولا دليل لهم بذلك ، حيث يتبين لنا من أقوال المفسرين للآية المراد بها، فمن أقوالهم " أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خُلقتا للبقاء لا للفناء وكذلك العرش فإنه سقف الجنة وقيل المراد إلا ملكه وقيل إلا ما أريد به وجهه" [2].

وقد ثبت لنا بصريح القرآن الكريم أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]، وقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[4].

ولست بصدد حصر الآيات الدالة على خلق الجنة والنار وإنما أردت توضيح مسألة تأويل ابن أبي الحديد وشيوخه للآيات بما يتناسب ومذهبهم الاعتزالي مع إعراضهم عن الأدلة الصريحة في الموضوع ذاته.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، (٢/٦١٥).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، (٢/٦٢٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٣٣).

(٤) سور آل عمران، الآية (١٣١).

المبحث الخامس: تفسيره لقوله تعالى :

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[1] وقوله: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[2]

يقول ابن أبي الحديد في معرض رده على من قال بجواز الاجتهاد .

قال تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴿٣٨﴾﴾[3]،وقوله:﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[4]، وقوله :﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[5]، "فهذه الآيات دالة على اشتمال الكتاب العزيز على كل الأحكام فكل ما ليس في الكتاب وجب ألا يكون في الشرع"[6].

وقول ابن أبي الحديد في تفسيره لهذه الآيات مردود عليه، لأنه بهذا القول يرد كل ما كان بياناً للشرع من سنة الرسولﷺ ومما هو معلوم من الدين بالضرورة أن للسنة مع القرآن أوجها قد بينتها وفصلتها كتب الأصول، ومنها أن تكون مقررة ومؤكدة لأحكام جاءت في القرآن، وإما مفصلة ومفسرة لما أجمل في القرآن ،أو مقيدة لما كان مطلقاً، أو مخصصة لما جاء عاماً، أو منشئة لحكم سكت عنه القرآن، فرد ما ثبت من الأحكام بالسنة هو رد لكثير من أحكام الإسلام التي لم تثبت إلا بها، مع كون الأمر بإتباع ما جاء به الرسول ﷺ جاء صريحاً في أكثر من آية في القرآن الكريم[7].

ولعلنا بالوقوف على تفسير أهل السنة لهذه الآيات نرى البون الشاسع بينه وبينهم فيما يتعلق بهذه المسألة.

(١) سورة الأنعام، الآية (٣٨).

(٢) سورة النحل، الآية (٨٩).

(٣) سورة الأنعام، الآية (٣٨).

(٤) سورة النحل، الآية (٨٩).

(٥) سورة الأنعام، الآية (٥٩).

(٦) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، (١/٢٦٧).

(٧) انظر: علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف، الناشر مكتبة الدعوة، ط٨، (١/٣٩).بتصرف

يقول الإمام الشوكاني:"﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[1]،أي بياناً له والتاء للمبالغة ونظيره من المصادر (التلقاء)، ولم يأت غيرها ومثل هذه الآية قوله سبحانه :﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[2].

ومعنى كونه تبياناً لكل شيء أن فيه البيان لكثير من الأحكام والإحالة فيما بقى منها على السنة وأمرهم بإتباع رسوله ﷺ فيما يأتي به من الأحكام وطاعته، كما في الأحاديث القرآنية الدالة على ذلك، وقد صح عنه ﷺ أنه قال:"إني أوتيت القرآن ومثله معه"[3].

وقال:" ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[4] أي ما أغفلنا عنه ولا ضيعنا فيه من شيء، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ فإن الله أثبت فيه جميع الحوادث، وقيل أن المراد به القرآن، أي ما تركنا في القرآن من شيء من أمر الدين إما تفصيلاً أو إجمالاً ومثله قوله:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[5]، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾ ﴾[6]،ومن جملة ما أجمله في الكتاب العزيز، قوله:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴿٧﴾ ﴾[7].

فأمر في هذه الآية باتباع ما سنّه رسول الله ﷺ فكل حكم سنّه الرسول لأمته قد ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز بهذه الآية ،وبنحو قوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴿٣١﴾ ﴾[8]".

(١) سورة النحل، الآية (٨٩).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٣٨).

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني، (٢٦٨/٣).

(٤) سورة الأنعام، الآية (٣٨).

(٥) سورة النحل، الآية (٨٩).

(٦) سورة النحل، الآية (٤٤).

(٧) سورة الحشر، الآية (٧).

(٨) سورة آل عمران، الآية (٣١).

وكذلك قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1].

وقال الإمام القرطبي:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[2]، أي في اللوح المحفوظ، فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث. وقيل أي في القرآن أي ما تركنا شيئا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن إما دلالة مبينة مشروحة وإما مجلمة يُتلقى بيانها من الرسول ﷺ أو من الإجماع أو القياس الذي ثبت بنص الكتاب. قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[3]، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾ ﴾[4]، وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴿٧﴾ ﴾[5].فأجمل في هذه الآية وآية النحل ما لم ينص عليه مما لم يذكره فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره إما تفصيلاً وإما تأصيلاً[6].

وقد جاء الأمر صريحاً بإتباع الرسول ﷺ فيما يأمر به في كثير من المواضع في القرآن الكريم نشير إلى موضع منها ، ونذكر أقوال المفسرين في ذلك :

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ﴿٥٩﴾ ﴾[7].

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية " يعني بذلك جلّ ثناؤه يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، وأطيعوا رسوله محمدًا ﷺ،

(١) سورة الأحزاب: آية ٢١، وانظر: فتح القدير، للشوكاني، (١٦٤/٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٣٨).

(٣) سورة النحل، الآية (٨٩).

(٤) سورة النحل، الآية (٤٤).

(٥) سورة الحشر، الآية (٧).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤٢٠/٦).

(٧) سورة النساء، الآية (٥٩)

فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته[1]، إلى أن قال:"قال بعضهم ذلك أمر من الله بإتباع سنته"[2].

ثم قال : ((إن اختلفتم أيها المؤمنون في شيء من أمر دينكم أنتم فيما بينكم أو أنتم وولاة أمركم فاشتجرتم فيه فردوه إلى الله ، يعني بذلك فارتادوا معرفة حكم ذلك الذي اشتجرتم أنتم بينكم أو أنتم وأولو أمركم فيه من عند الله ، يعني بذلك من كتاب الله فاتبعوا ما وجدتم)).

وأما قوله: "والرسول" فإنه يقول فإن لم تجدوا إلى علم ذلك في كتاب الله سبيلاً فارتادوا معرفة ذلك أيضاً من عند الرسولﷺ إن كان حياً وإن كان ميتاً فمن سنته.[3]

وقال ابن كثير في تفسيره : " أطيعوا الله أي اتبعوا كتابه وأطيعوا الرسول أي خذوا بسنته، إلى أن قال: "هذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يُرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[4]، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال"[5].

وبهذا يتبين لنا أن كل حكم ورد بالسنة الصحيحة عن رسول اللهﷺ فهو واجب الإتباع ، كما أن القرآن واجب الإتباع بالأدلة السابقة ، فكيف لابن أبي الحديد وأمثاله، أن يقولوا أن كل ما ليس في الكتاب وجب ألا يكون في الشرع.

(١) انظر: تفسير الطبري، (٨/٤٩٥).

(٢) انظر: المصدر نفسه، (٨/٤٩٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (٨/٥٠٤).

(٤) سورة الشورى، الآية (١٠).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، (٢/٣٤٥).

المبحث السادس: تفسيره للآيات الواردة في اللعن في القرآن الكريم

بعد أن ساق ابن أبي الحديد الخطبة المنسوبة للإمام علي رضي الله عنه، وبدأ في شرحها، بدأ في الكلام على اللعن، وأوضح من خلال تفسيره لهذه الآيات أن اللعن قد يكون واجباً حتى على من عليه اسم الإسلام وهذا نص قوله في هذه المسألة.

يقول ابن أبي الحديد: «اعلم أن هذا- يقصد القول بعدم اللعن – خلاف نص الكتاب، لأنه تعالى قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾[1]وقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[2]، وقال في إبليس:﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[3]، وقال: ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾[4]، وفي الكتاب العزيز من ذلك الكثير الواسع.

وكيف يجوز للمسلم أن ينكر التبرؤ ممن يجب التبرؤ منه ألم يسمع هؤلاء قول الله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾[5]. إلى أن قال:"ومما يدل على أن من عليه اسم الإسلام إذا ارتكب كبيرة يجوز لعنه بل يجب في وقت قوله تعالى، في قصة اللعان: ﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ ﴾[6].

وقال في القاذف:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى

(١) سورة الأحزاب،الآية (٦٤).

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٥٩).

(٣) سورة ص، الآية (٧٨).

(٤) سورة الأحزاب، الآية (٦١).

(٥) سورة الممتحنة ،الآية (٤).

(٦) سورة النور، الآية (٦-٧).

﴿ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1]، فهاتان الآيتان في المكلفين من أهل القبلة والآيات قبلها في الكافرين والمنافقين[2].

فكأن ابن أبي الحديد هنا ساوى بين الكافر والمسلم من أهل الكبائر في جواز اللعن، وقد اختلف أهل العلم في جواز لعن الكافر من عدمه فكيف بالمسلم؟!!

يقول ابن كثير في تفسيره لقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[3]، "لا خلاف في جواز لعن الكفار وقد كان عمر بن الخطاب ومن بعده من الأئمة يعلنون الكفرة في القنوت وغيره فأما الكافر المعين فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يُلعن لأنا لا ندري بما يُختم له، واستدل بعضهم بهذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾، وقالت طائفة أخرى بل يجوز لعن الكافر المعين واختار ذلك الفقيه أبو بكر بن العربي ولكنه احتج بحديث فيه ضعف[4].

والذي أرى –والعلم عند الله –أن استدلال ابن أبي الحديد بمثل هذه الآيات على جواز اللعن باطل من عدة أوجه:

الأول:استدلاله بقوله :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ ﴾[5].

كما ذكرنا قبل قليل من كلام ابن كثير أنه لا خلاف في لعن الكافرين عموماً، ولكن الخلاف في لعن كافر بعينه. فأين الدلالة في الآية على وجوب لعن غير الكافر.!!

الثاني: أما استدلاله بقوله:﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[6]، فإننا

(١) سورة النور، الآية (٢٠).
(٢) انظر: شرح نهج البلاغة، (١١/١٩-٢٠).
(٣) سورة البقرة ، الآية (١٥٩).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، (١/٤٧٤).
(٥) سورة الأحزاب، الآية (٦٤).
(٦) سورة البقرة ، الآية (١٥٩).

لو عدنا إلى بداية الآية لوجدنا أنها خاصة بطائفة معينة ، فالله يقول في مطلع هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُولَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[1].

فغاية ما في هذه الآية إخبار منه تعالى بأن من يفعل هذا الكتمان للآيات ملعون واختلف في المقصود بهم في الآية " فقيل هم أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد وقيل كل من كتم الحق وترك بيان ما أوجب الله بيانه"[2].

وقد ذكر الإمام الطبري تفسيرًا لهذه الآية فقال:" فمعنى الآية إذا أولئك يبعدهم الله منه ومن رحمته ويسأل ربهم اللاعنون أن يلعنهم لأن لعنة بني آدم وسائر خلق الله ما لعنوا أن يقولوا " اللهم العنه"[3].

الثالث: أما استدلاله بقوله: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[4]، وقوله:﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾[5]، فغاية ما في هاتين الآيتين هو الإخبار بأن المذكورين في الآيات قد طردهم الله وأقصاهم من رحمته، فما الدلالة على وجوب اللعن؟!!

الرابع: أما استدلاله بآية براءة إبراهيم ومن معه من المؤمنين من المشركين ، فلا أرى فيها أي وجه من وجوه الدلالة فغاية ما تدل عليه هو التبرؤ من الكافرين وهذا أمر لا خلاف فيه ولكن الإشكال أين الأمر باللعن في الآية ولو كنا مأمورين باللعن كما يقول ابن أبي الحديد أليس الأحرى أن نجد ولو مرة واحدة أن القرآن جاء بلفظ (العنوهم)!!

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن:

(١) سورة البقرة ، الآية (١٥٩).
(٢) انظر: فتح القدير ، للشوكاني، (١/٢٥٠).
(٣) تفسير الإمام الطبري، (٣/٢٥٤).
(٤) سورة ص، الآية (٧٨).
(٥) سورة الأحزاب، الآية (٦١).

ما الفائدة التي يجنيها أي مسلم من اللعن؟ سواءً في الدنيا أو الآخرة؟.

المؤمن على كل حال مأمور بحفظ لسانه عن كل قبيح من سب وشتم ونحوها.

قال رسول اللهﷺ : " إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة"[1].

وقال: "ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء"[2].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب: (البر والصلة والآداب)، باب النهي عن لعن الدواب ونحوها، رقم(٢٥٩٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب (البر والصلة) ، رقم(١٩٧٧)، وأحمد في مسنده ، (٤٠٥/١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ١٣٠/١ .

المبحث السابع: قوله في ترتيب آيات القرآن

أشار أبن أبي الحديد في كتابه إلى أن بعض الآيات في القرآن ليست موضوعة في مواضعها، وقال بأن في القرآن الكثير من ذلك، حيث إنه عندما شرع في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿٣٤﴾﴾[1]، قال ما نصه: " أي ولأي سبب لا يعذبهم الله مع وجود ما يقتضي العذاب وهو صدهم المسلمين والرسولﷺ عن البيت في عام الحديبية، وهذا يدل على أن ترتيب القرآن ليس على ترتيب الوقائع والأحداث، لأن سورة الأنفال نزلت عقيب وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة، وصد الرسولﷺ عن البيت كان في السنة السادسة، فكيف يجعل آية نزلت في السنة السادسة في سورة نزلت في السنة الثانية؟ وفي القرآن كثير من ذلك وإنما رتبه قوم من الصحابة في عهد عثمان"[2].

فلو تأملت كلامه وجدت أنه يصرِّح بأن في القرآن آيات كثيرة قد وضعت في غير موضعها، وأن الذي رتبها هم الصحابة، وقد غفل أنه لا ريب عند أمة الإسلام في أن كل آية من القرآن في موضعها الذي أراده الله وأن ترتيبها كان توقيفيًا من الرسول ﷺ.

وقد " انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه اليوم بالمصاحف كان بتوقيف من النبي ﷺ عن الله تعالى، وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، بل كان جبريل ينزل بالآيات على رسول اللهﷺ ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها ثم يقرؤها النبي ﷺ على أصحابه، ويأمر كتاب الوحي بكتابتها معيناً لهم السورة التي تكون فيها الآية، وموضع الآية من هذه السورة،وكان يتلوه عليهم مراراً وتكراراً في صلاته، وعظاته، وفي حكمه، وأحكامه، وكان يعارض به جبريل كل عام مرة وعارضه به في العام الأخير مرتين، وكل ذلك كان على

(١) سورة الأنفال،الآية (٣٤).

(٢) انظر: شرح ابن أبي الحديد، (١٩٢/١٨).

الترتيب المعروف لنا في المصاحف، وكذلك كان كل من حفظ القرآن أو شيئاً منه من الصحابة حفظه مرتب الآيات على هذا النمط"[1].

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، (٣١٤/١).

المبحث الثامن: تفسيره لقوله :

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا ﴾[1]

كما سبق وأن ذكرت ، فقد كان منهج ابن أبي الحديد موافقاً -إلى حد كبير- لمذهب المعتزلة في كثير من الآراء التي اعتمدوها أساساً في منهجهم، ومنها قوله في أصحاب الكبائر، ثم قوله بالمنزلة بين المنزلتين، إلى غير ذلك .

وها هو الآن يعود ليطالعنا بهذا الرأي الذي يثبت ويؤكد تبنيه لقول المعتزلة، وهو القول بأن كلام الله مخلوق ومحدث ويتجدد في كل وقت.وإليك ما قاله في هذا الصدد:

يقول " سُمي القرآن حديثاً اتباعاً لقول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾[2]، واستدل أصحابنا بالآية على أنه محدث لأنه لا فرق بين حديث ومحدث في اللغة، فإن قالوا إنما أراد أحسن الكلام، قلنا لعمري إنه كذلك، ولكنه لا يطلق على الكلام القديم لفظة الحديث، لأنه إنما سمي الكلام والمحاورة والمخاطبة حديث لأنه أمر يتجدد حالاً وحال القديم ليس كذلك".[3]

والمتأمل في قوله هذا يدرك قوله بخلق القرآن واستدلاله بالآية الشريفة، أرى أنه في غير موضعه، حيث إنه لجأ إلى المعنى اللغوي للفظة (حديث) وأغفل المعنى الاصطلاحي. ثم إن هذه الآية التي استدل بها ابن أبي الحديد هي في الحقيقة من جملة الآيات التي استدل بها علماء أهل السنة على أن القرآن كلام الله،" وأنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإلم يكن الصوت المعين قديماً ، وقد أثر ذلك على أئمة

(١) سورة الزمر،الآية (٢٣).

(٢) سورة الزمر،الآية (٢٣).

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد،(١٧٥/٧).

الحديث والسنة"[1].

ولعلنا بالوقوف على ما قاله أهل التفسير والعقيدة من أئمة السنة والجماعة نقف على البون الشاسع بين المعنى الذي ذهب إليه ابن أبي الحديد والمعنى الصحيح من هذه الآية.

يقول الإمام السعدي "ومن أصدق من الله حديثاً" ، "ومن أصدق من الله قيلاً"، إخبار بأن حديثه وأخباره وأقواله في أعلى مراتب الصدق بل أعلاها، فكل ما قيل في العقائد والأعمال مما يناقض ما أخبر الله به فهو باطل لمناقضته الخبر الصادق اليقين فلا يمكن أن يكون حقاً. [2].

وإليك ما قاله الأئمة العارفون بربهم في تفسير هاتين الآيتين:

" من اسم استفهام بمعنى النفي وإتيان النفي بصيغة الاستفهام أبلغ من إتيان النفي مجرداً، لأنه يكون بالاستفهام مشرباً معنى التحدي، كأنه يقول لا أحد أصدق من الله حديثاً وإذا كنت تزعم خلاف ذلك فمن أصدق من الله؟ وقوله" حديثاً" و"قيلا" تميز لـــ"أصدق" وإثبات الكلام في هاتين الآيتين يؤخذ من قوله " أصدق" لأن الصدق يوصف به الكلام وقوله "حديثاً" لأن الحديث هو الكلام ومنه قوله في الآية الثانية"قيلاً"، والقول لا يكون إلا باللفظ"[3].

وأما ما قاله ابن أبي الحديد فهو حال من أراد إثبات ما عنده لمجرد التعصب للمذهب دون محاولة الوصول إلى الحق وإتباع الدليل.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الدمشقي،(١/١٧٤).

(٢) انظر: تفسير السعدي، (١/١٩١).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ محمد العثـــيمين، دار ابـــن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـــ،(١/٤١٨).

الفصل الخامس

الغرض من دراسة هذه الأقوال في التفسير

الغرض من دراسة هذه الأقوال في التفسير

مما لاشك فيه أن دراسة مثل هذه الأقوال في تفسير كتاب الله ذات أهمية كبيرة، وإن كان البعض يرى أنه لا جدوى منها على اعتبار أن هذه الأقوال إنما هي أقوال لفرق تلاشت، أو قد سبق الرد عليها من علماء الإسلام قديماً وحديثاً، فلم يُعد هناك ضرورة لمثل هذه الدراسات.

ولكن المتأمل للواقع يرى ضرورة دراسة مثل هذه المواضيع نظرياً وتطبيقياً، وذلك للأسباب التالية :

١- صيانة كتاب الله من كل زيغ وانحراف من البعض عن المنهج السَّوي الذي أراده الله لعباده في كتابه. فمثل هذا الكتاب الذي نحن بصدد البحث عنه وإن لم يكن كتاباً خاصاً بالتفسير، إلا أن مؤلفه لم يألوا جهداً في تأويل الآيات متى ما سنحت له الفرصة بما يتناسب مع مذهبه الاعتزالي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تفاني أمثال هؤلاء الكتاب في خدمة مذاهبهم، فكان واجباً على الأمة أن يقوم منهم في المقابل من يتفانى في خدمة كتاب الله وصيانته من عبث العابثين وكيد الكائدين.

٢- ليست العبرة بدراسة مؤسسي فرق قد تلاشت واضمحلت ولكن العبرة في الأفكار التي بثها أولئك في أوساط الناس هل لازالت موجودة أم لا؟ .

إن الناظر في حال الأمة اليوم يرى مدى تغلغل مثل هذه الأفكار الضالة التي جاءت بها تلك الفرق المنحرفة بين أوساط الناس وضعفاء النفوس، لاسيما ما يحمله كل من الشيعة والمعتزلة من معتقدات مخالفة لمنهج الصواب،وبما أن مثل هذه الأفكار لا تزال موجودة كان لابد من مواجهتها بالدليل وإقامة الحجة حتى يصل الحق الذي أراده الله مشارق الأرض ومغاربها.

٣- أكرر دائماً أنه ليس الغرض بمثل هذه الدراسة التحيز أو التشدد لمذهب دون الآخر، ولكن الغرض كما قلنا إيصال الحق إلى أكبر عدد من الناس رغبة في

التوحد وجمع كلمة المسلمين. لأنه إذا حصل الخلاف بين الأمة في كتاب الله وتفسيره الذي هو أصل الدين فلاشك أن الخلاف في غيره أولى وهذا بلا ريب من أقوى دواعي تشتت الأمة وضعفها وسهولة سيطرة الأعداء عليها، كما هو ملاحظ في وقتنا الراهن.

٤- الفرق المخالفة كالمعتزلة والشيعة، لا تألوا جهداً في محاولة بث أفكارها وآرائها، لذلك كان لزاماً على هذه الأمة أن يقوم منهم طائفة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ما حازت الأمة الأفضلية على سائر الأمم إلا به، كما قال عزَّ من قائل: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

ملخص البحث، والخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أفضل الخلق وهادي البشرية. أما بعد:

فقد أتممت هذا الجهد المتواضع من البحث في التفسير عند ابن أبي الحديد، وإن كان المقام قابلاً للزيادة لوجود كثير من الآيات التي لم أتطرق لها لطبيعة البحث، ولكن لعل ما تم تقديمه يكفي لبيان الدراسة النقدية لهذا المفسِّر -والله أعلم-.

ولقد وصلت من خلال بحثي إلى مجموعة هامة من النتائج والتوصيات، أجملها في الآتي:

١- الحرص على دراسة كتب الفرق المخالفة وخاصةً ما يتعلق بتأويلهم لآيات القرآن لرد شبهاتهم وفق مذهب أهل السنة والجماعة.

٢- عند دراسة أي كتاب يُفضل الجمع بين الناحية النظرية والتطبيقية حتى يكون الكلام أكثر وقعاً وقبولاً.

٣- الاعتماد في المناقشة مع المذهب المخالف على أمهات كتب التفسير بالمأثور عند أهل السنة.

٤- الوقوف موقف الحياد وتجنب الشتم والسَّب للمخالف لأن ذلك مخالف لهديه عليه الصلاة والسلام في التعامل مع المخالف في الدين فكيف بالمخالف في المذهب؟!!

٥- الحرص على إتباع المنهج العلمي في البحث والتوثيق العلمي الدقيق للمعلومات.

هذا ما يسرّه الرحمن..وهو جهد مُقل..فما كان فيه من صواب فمن الله وحده..

وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الحديث النبوي.

٣. أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف، الناشر: مكتبة الدعوة، الطبعة الثامنة.

٤. جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، دار الرسالة للطبع، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥. تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ

٧. الجامع لأحكام القرآن، للامام محمد بن أحمد القرطبي،المحقق هشام بخاري،دار عالم الكتب ط | ١٤٢٣

٨. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: دكتور/عبدالله التركي، وسعيد الأرنؤوط، دار الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية عشر، ١٤١٨هـ.

٩. شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ محمد العيثمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة،١٤١٧هـ.

١٠. شرح نهج البلاغة ،لعز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعروف بابن أبي الحديد،المحقق محمد ابو الفضل ابراهيم،دار الكتاب العربي،الطبعةعام ١٤٢٦

١١. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، للإمام بدر الدين العيني، المكتبة الشاملة.

١٢. فتح القدير بين الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، توزيع مكتبة ابن تيمية.

١٣. فرق معاصرة تنتسب للإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي

عواجي، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ.
١٤. فوات الوفيات، أحمد شاكر الكبتي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى .
١٥. مقدمة شرح نهج البلاغة، للمحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
١٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،أبو العباس شمس الدين أحمد محمد بن أبي بكر بن خلكان، المحقق: إحسان عباس ، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

المقدمة ١٨٩
أسباب اختيار موضوع البحث ١٩٠
الدراسات السابقة ١٩١
الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة البحث ١٩١
منهج البحث .....
خطة البحث ١٩٢
الفصل الأول: ترجمة ابن أبي الحديد ١٩٤
المبحث الأول: اسمه ونسبه ونشأته ١٩٥
المبحث الثاني: مذهبه وعقيدته ١٩٦
المبحث الثالث: أبرز مصنفاته ١٩٧
المبحث الرابع: وفاته ١٩٩
الفصل الثاني: منهج المعتزلة في التفسير ٢٠٠
المبحث الأول: التعريف بالمعتزلة ٢٠١
المبحث الثاني: منهج المعتزلة في تفسير القرآن الكريم ٢٠١
الفصل الثالث: منهج ابن أبي الحديد في تفسيره للآيات من خلال كتابه شرح نهج البلاغة ٢٠٤
منهج ابن أبي الحديد في تفسيره للآيات ٢٠٥
المبحث الأول : تأويله للآيات القرآنية بما يتناسب مع مذهب المعتزلة ٢٠٥
المبحث الثاني: النقول غير المسندة ٢٠٦
المبحث الثالث: اعتماده على أقوال المعتزلة في كثير من المواضع التي يتعرض فيها للتفسير ٢٠٧
المبحث الرابع: اهتمامه بالناحية اللغوية والبلاغية في التفسير ٢٠٨
المبحث الخامس: تأييده لمذهب المعتزلة في القول بالمنزلة بين المنزلتين ٢٠٨
المبحث السادس: تأييده لمذهب المعتزلة في القول في أصحاب الكبائر ٢٠٩

المبحث السابع: تبني قول المعتزلة في القول بخلق القرآن ٢٠٩
الفصل الرابع: نماذج من تفسير ابن أبي الحديد للآيات في كتابه ... ٢١٠
المبحث الأول: تفسيره للآيات المتعلقة بالرواية ٢١١
المبحث الثاني: تفسيره للآيات المتعلقة بأهل الكبائر ٢١٤
المبحث الثالث:تفسيره لقوله ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴿٣٢﴾ ﴾ ٢١٦
المبحث الرابع: تفسيره لقوله ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾ ﴾، وقوله ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴿٣﴾ ﴾ ٢٢٠
المبحث الخامس: تفسيره لقوله﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ وقوله: ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ ٢٢٣
المبحث السادس: تفسيره للآيات الواردة في اللعن في القرآن الكريم ٢٢٢٧
المبحث السابع: قوله في ترتيب آيات القرآن ٢٣١
المبحث الثامن: تفسيره لقوله : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا ﴿٢٣﴾ ﴾ ٢٣٣
الفصل الخامس: الغرض من دراسة هذه الأقوال في التفسير ٢٣٥
ملخص البحث والخاتمة ٢٣٨
فهرس المصادر والمراجع ٢٣٩
فهرس الموضوعات ٢٤١

* * *